

صورة المرأة المغربية في المشرق من خلال مقامات الوهراني

## L'image de la femme marocaine au Levant à travers Maqamat Al-wahrani

salimsadeli9@gmail.com

د، سعدلي سليم / جامعة برج بوعريبيج،

تاريخ النشر: 2019/06/14

تاريخ القبول: 2019/06/10

تاريخ الاستلام: 2019/05/23

**ملخص:** عمل الوهراني في هذه المقامة على استبطان المشاعر البشرية في مناطقها الشائكة المسكوت عنها والتي جرت أحداثها في العالم المشرقي بُغية تصوير متغيرات مشاعر الذات المغربية الساردة (المستلبة) التي قابلها بأفعال الذات المشرقية المعادية (المتعصبة) وفق مراحلها الزمنية، وأحداثها المحورية.

لقد استطاع باستخدامه لآلية الكشف أن يصور لنا مشاعر كل من المرأة المغربية والرجل المشرقي وتمكن كذلك من استبطان الذات الإنسانية ساعيا إلى تعرية أدق التفاصيل التي يخفيها الإنسان في أغواره الجهولة فلكل شخص حياة مختلفة، هناك الجزء الظاهري الذي يرتضيه المجتمع، ويصدّره الفرد إلى الجميع، وهناك الجزء المخفي والذي يظل في العمق، منطقة الأسرار التي تمتلكها جميعا ونحيا في جداولها، لذلك جاءت مقامة شمس الخلافة لتصور لنا أدق التفاصيل اليومية الواصفة لصورة المرأة المغربية الضائعة وسط هذا العنف المؤسسي، تبقى هذه المقامة حاملة في طياتها رسالة اجتماعية تمثل في عمقها آليات تمثيل عنف الواقع، وكيف يكون العنف عادة تجاه الذات المغربية التي ضاعت منها عالم الهوية الوطنية وسط العالم المشرقي (الأخر). وستناولها بالدراسة في مقالنا المتواضع.

الكلمات المفتاحية: أدب الوهراني وكشف المستور، آليات تمثيل عنف الواقع المشرقي الذي يحتضن الذات المغربية، مهارة المقامة في كشف المسكوت عنه، عنف الرجل المشرقي تجاه المرأة المغربية، طمس الهوية المغربية الجزائرية.

الإيميل : salimsadeli9@gmail.com

- المؤلف المرسل: د، سعدلي سليم

## Abstract:

If we "Levantine" civilization model, we find that the full veil and cognitively buffer has been created by the book Sir, Maghazi in the era of Saladin, "obscure book succades Moroccans and answered him don't even know" forms of violence against women ", but through what was narrated by Sir book Political circumstances and different cognitive discrepancy.

In "succession" Sun station depicts us the narration details the psychological life of Moroccan women "and" Levantine "man how is" institutional "violence in Levantine communities.

These "established" in human emotion internalization in the thorny areas taboo, to visualize feelings variables "women and men", and the early stages of their lives, facing the central narrative writing in "built" big question "lives of Moroccan women and the mechanisms of representation of violence Fact that paint us landmarks in identity of Moroccan women (APS) and are going to study in our humble opinion.

**Keys:** Male violence towards women Levantine Morocco- Indeed, the violence of representation mechanisms Levantine embraces Moroccan self- Skill in revealing the untold story -The wahrani literature and uncover -Blur Algerian Moroccan identity .

## مقدمة:

لقد جرى تعريف العنف الاجتماعي بأنه هجوم على فرد أو على هويته، لمجرد انتساب الفرد إلى فئة اجتماعية. إنّ العنف تعبير ضروري عن الغضب، الذي يفسر بأنه عدوان، أو أنه دافع فطري للسيطرة على ماهو فطري أو تدميره بوصفه إرادة قوة شجاعة، والتعبير عن الغضب يعتمد على توقعات السلوك الاجتماعي، وعلى السماح بذلك السلوك، بتكليف الانفعال والتعبير عنه اجتماعياً<sup>1</sup>. يقدم "روبيرت ماكافي برون" تعريفاً مطولاً للعنف بوصفه انتهاكاً للشخصية، بمعنى أنه تعدّد على الآخر، أو استهجان أو تجاهله مادياً، أو غير ذلك. إنّ مخاطبة الشخصية تعني إعطاء وصف شامل للعنف بأنه أكثر من مجرد الجسد والروح. إنّهُ يقر بأن الأعمال التي تسلب الشخصية، هي أعمال العنف؛ فأبي سلوك شخصي ومؤسسي يتسم بطابع تدميري مادي واضح ضد آخر يعدّ عملاً عنيفاً. هناك الاستهجان الشخصي الخفي، الذي يؤذي الآخر نفسياً كالتهديدات اللفظية، فهي غير عنيفة لكنّها عدوانية، بوصفها محاولات لتدمير سمعة الفرد أو تقويض علاقات الأفراد مع غيرهم من بني البشر، فالعنف المرتكب بحق الأشخاص

## صورة المرأة المغربية في المشرق من خلال مقامات الوهراني

يتضمن الإساءة اللفظية والجسدية، وهناك "العنف المؤسسي" الخفي؛ حيث تنتهك البنى الاجتماعية هوية مجموعات الأشخاص.

اتجه الوهراني في خطابه إلى تطوير فكرة "التمثيل بالانفعال" باعتبارها أكثر الوسائل الخطائية جدوى لملاحقة الهوية المسلوقة، وهي فكرة تهدف إلى إيجاد آليات أخرى للتعبير عن موقف درامي إنساني يحافظ على تأييد كينونته، ولكنها ما تزال معركة هجاء حاد، وما تزال رغم تطور آلياتها، معركة "خطائية انفعالية"، عارية من لحظة المواربة.

وهذه الرؤية الخطائية الحادة تقف بتردد بين سحرته وبين انفعالاته، وهي مجرد صرخة مشحونة بالغضب الذي ما يزال في صدره تجاه كل الحاقدين المعادين له، ولكن القارئ مطالب بأن يلاحظ هذه النبوة المفاجئة التي توصل بها، والتي تربط بينه وبين سداجة القضاة في العالم المشرقي، وأصبح من المحتم أن يتغير حقل الخطاب مرة أخرى بصورة جذرية.

هنا، بدأ مسيرته في اتجاه التعبير الخطابي العنيف أو القناع، التي تبدو مثل محاولة مخزنة لتلمس العزاء في تاريخ العالم المشرقي باعتباره تراجيديا في تصوير همومه، فهو المغرب في دمشق، لا مؤنس له سوى كلماته، وإخفاقات أصدقائه الذين كانوا يلاقون المصير نفسه في مدن المشرق، والذين يمثلون معه على مسرح واحد رغم كل الاختلافات وهنا بدأت مشكلة التعبير الانفعالي تأخذ طريقها في يسر، عبر هذا الصراع المتجدد على الدوام وانطلق الكاتب بصورة نهائية وراء تلك المرحلة المرهقة التي تنتهي بتبني "فكرة الانفعال" من الخارج والداخل سواء.

أ - عنف الخطاب واستبطان المسكوت عنه.

أثناء الحديث عن خصائص الكتابة، بصفتها نصا عنيفا، وبنية تركيبية شديدة الوقع والوقع هنا لا يعني الحدّة، كما لا يعني شيئا آخر، إنما نقصد بالوقع حدة البنية من حيث حكيّتها وبصفتها لغة سردية تمتاز بدقّة المعنى ووضوح الرؤية؛ لغة "الأنا"، الذات المقتنعة بقناع الانفعال، يحكي هويته كذات ووطن وتاريخ، وغيرها من أنواع الهويّات داخل دائرة الهوية الكبرى للوجود الإنساني<sup>2</sup>.

يتشكل الخطاب السردى السّاحر في "مقامة الوهراني" من خلال نقطتين: الغربة الناجمة عن الرحلة المشرقية والتهميش الناجم عن المشاركة، قطب أساسه جمالية بشاعة السّخرية التي لا تعترف بالهزيمة، وكلا القطبين مرهونان بحضور الذات المغربية السّاردة ومن ثمة تمثل هذه الذات قطب الرّحى؛ رحي السّخرية الانفعالية، ورحى التمرّد على القيم المشرقية ممّا يسمّ هذين القطبين بسمة العنف، ولدّة المسرود،

ومع حركة رحى القطبين يعاد تشكيل رؤية مغايرة للتاريخ، فالتاريخ بصفته أحداثاً ماضوية وزمنياً منتهياً، هو أيضاً هوية "الأنا" الساردة، تحاول من خلال حكيها العنيف للتاريخ أن تقدم نفسها للآخر بغية تأويله لماهيتها ليتعرف بدوره على هويته المنفلتة في البلد المشرقي فهو لا يدرك هويته إلا بحضور "البلد الأصلي" والاحتماء بتلك الأوطان في أوطان أخرى، كما يوضحه هذا المقطع: "وأكبت بها الأقران في وهران، وأطلق عنان اللسان في تلمسان، وأدعو له في مدينة فاس على عدد الأنفاس وأثنى عليه في أعماق، ولو أن للقلَم لساناً، وللورقة إنساناً لصرختُ وتظلمتُ، حتى إذا هرمت سعودها ودى عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد، ولأنشدتك في الملا، قول الشيخ أبي العلاء: جلوا صارما وتلوا باطلا وقالوا صدقنا فقلنا نعم، ولكن السكوت عن هذا أنجح، ومسألة الأفاعي أصلح"3. بهذه "الصرخة" الخطابية التي يرسمها لنا هذا المقطع تنكشف هويته وتفتح على عوالم "التهجير القسري"5 متمثلة في هذه الرموز: وأكبت بها الأقران في وهران، وأطلق بشكره اللسان في تلمسان، إنَّها تسعفنا على تفسير الأحداث وهذا من خلال المنجز السردى المثبت خطاباً مكتوباً، فالخطاب " المتصل بالكتابة والسرد يقوم على قاعدة أنطولوجية ضمن ظروف تاريخية مزامنة للحظتي الحكيم والمعنى، متأية من كون الإنسان منتجاً للعلامة والرموز6 قصد إدراك الهوية على نحو تأويلي، من خلال إقامة دائمة للمبدع في فضاء متحرك دلالة ومعنى يتخارج في مسرودات ومأثورات مقولة أو مكتوبة توضع الفكر ثقافات متناثرة علَّها تمسك بالسارد لحظة تعبيرها عن الوجود"7.

فإذا ما جننا نستقرئ هذه الشفرات اللسانية قراءة تأويلية كانت كالتالي:

وأكبت بها الأقران في وهران = الهوية.

وأطلق بشكره اللسان في تلمسان = الهوية.

وأدعو له في مدينة فاس = الهوية.

حتى قربت من العراق وسئمت الفراق، فأرحت نفسي = استعادة الهوية.

يتبين لنا جلياً أنّ هذه المقاطع بما تضمنته من رموز تحكي صرخة الاستجداد بالوطن الأم، وتشعرنا في الوقت نفسه بتوحد البطل في عالم صاحب بالحركة، " فعندما يخرج الإنسان إلى الحياة، ويتخذ له مكاناً ما في الوجود، تعترض رغبته رغباً الآخرين، فيتولد بالضرورة التدافع والغيرة والحسد والعنف، وهكذا، فالعنف يسم العلاقات الإنسانية ويتواجد في كل لحظة تلاق وأثناء كل تحاور بين الناس"8. إنَّها ذات محمول نفسي انفعالي ترتفع بالمسرود والمصور والمنتخيل والمخبوء والمسكوت عنه، إلى أعلى مستوى

ممكن من الاصطدام بالقارئ وتحفيزه وإثارته وتحديه، بصفته نصاً يقول مالم يصرح به كاتبه، ولأنه لا يكتفي بفضح المعنى فقط وإنما يقدم متعة الصرخة التي تقدم لنا معالم نفسية السارد، "إنّ قراءة النص يجب أن تستند إلى النظام النصي نفسه الذي يستعان في توضيحه ببعض العلوم الإنسانية: كعلم النفس التحليلي والنقد المضموني والتاريخي"9.

نعتقد أن الوهراني حين كان يكتب نصه بلغة انفعالية تحكي مآسي الغربية، كان يراهن بيقينية على أهمية الرمز، والشفرة التي تليق بمقام الهوية، وحين كان يمارس تلك التقنية الفنية كان يدرك مدى أهمية عملية الشفرة، وباقي عناصر التعمية، أهميتها في قدرتها المتميزة فنياً ومعرفياً على فتح النص على "التفسير الهرمينوطيقي" بالاستعانة على الضغط النفسي، كان يفعل ذلك وهو يدرك بوعي الكاتب المتمكن من أدواته الإبداعية أن النص السردي السّاحر كلما عوّل على إضطراب اللغة ووقعها كلما حقق درجة عالية من الغواية، ومن فتنه اللغة، وقد تعود الجاحظ قديماً من فتنه اللغة "أعوذ بالله من فتنه القول"10، وفي اعتقادنا لن نتحقق تلك الفتنه إلاّ بعنف اللّغة.

ب- استراتيجية المقامة في تعرية الماضي المزيف:

إذا اتخذنا من "الحضارة المشرقية" نموذجاً، سنجد أن حجاباً وعازلاً معرفياً كاملاً قد تمّ إنشائه من طرف كتاب السير والمغازي في "العصر الأيوبي"، يحجب موروث الكتاب المغاربة ويخبئه حتى لا نعرف "أشكال العنف الممارس ضد المرأة المغربية"، إلاّ من خلال ما رواه كتاب السير في ظروف سياسية ومعرفية مختلفة إلى حد التناقض.

في "مقامة شمس الخليفة" يصور لنا السارد تفاصيل الحياة النفسية لدى كل من "المرأة المغربية" و"الرجل المشرقي" وكيف هو "العنف المؤسسي" في المجتمعات المشرقية.

نجحت هذه "المقامة" في استبطان المشاعر البشرية في مناطقها الشائكة المسكوت عنها، وأن تصور متغيرات مشاعر "المرأة والرجل" وفق مراحلها الزمنية، وأحداثها المحورية بحياتها. وتواجه الكتابة السردية في "المقامة" السؤال الأصعب بحياة "المرأة المغربية"، كما يصورها هذا المقطع: "وحاول الرجل كل معيشة فلم يقدر على حشيشة، فساقه القلفندر والقضاء المقدر إلى "عجوز مغربية" محكمة في خمسين صبية، تعلم البنات الغزل وتجنّبهم الجحون والهزل.."11. يصور لنا السارد هذه العجوز، حين تعترض طريقها علاقة حب جديدة طرأت على حياتها، ويحاول من خلال ذلك أن يطرح تساؤلات عدة، من قبيل: هل من الأمثل الاستمرار زيفاً في علاقة مع الزوج من أجل مصلحة مادية، أم أنه من الأفضل المكاشفة

والمصارحة؟ وهنا تظهر ازدواجية المشاعر، أو عيش مشاعر لا تتسم بالصدق لدى كل من الرجل المشرقي والمرأة المغربية تلك القضايا التي تواطأ الجميع على عدم الخوض فيها أو مواجهتها.

تصور "الوهراني" في تلك "المقامة" حياة التوازي مع الواقع المشرقي، تلك التي تقع في منطقة الأسرار الخاصة بطرفي العلاقة، العذاب المقيم بنفس كل من "المرأة المغربية" و"الرجل المشرقي" نتيجة للازدواج\*، لأجل ذلك تمثل بهذا المقطع المقتبس: " فأبصرته العجوز على تلك الحالة، فتوسمت فيه عظم الآلة فسرى خيالها، وسال عليه ريالها، ولم يفارق بابها حتى كتبت عليه كتابها، ولما اختلاها واعتلاها، وكنف من ليلته خلالها، أيقنت أنه يبرد غليلها ويداوي عليلها فقامت على الفور، وهو من ورائها كالثور... "12. يدعو الكاتب القارئ إلى الإنتفاع بما تضمنته هذه العبارات من أخلاق مزيفة يتمتع بها الرجل المشرقي الذي قضى منفعته من زواجه بالمرأة المغربية التي أنقذته من الفقر الذي كان يحدق به، ناكراً الجميل لكونه أصبح شخصاً معروفاً بنيته الفاسدة عند الزوجة. يزعم فرويد " أن الحقيقة الكامنة وراء كل هذا هي أن الرجال ليسوا مخلوقات لطيفة تريد أن يحبها الآخرون، بل يمتلكون قسطاً كبيراً من "العدوانية العنيفة"، بحيث يصبح الجار، بالنسبة إليهم، ليس مجرد مساعدة أو أداة جنسية محتملة فقط، وإنما هو أيضاً شخص يحاول أن يشبع عدوانيتهم عليه، وذلك باستغلاله جنسياً وحجز أملاكه، وإذلاله"13.

كما أن "المقامة" تكشف عن جانب من سيطرة الثقافة الذكورية في المنظومة الأخلاقية للمجتمع المشرقي، كما هو واضح في هذا المقطع: " تغير على زوجته بعد أن كان يفديها بمهجته، وصار يجري بينهما في المجالس، ما يحفظ عنهما في المدارس، ولقد رأيتهما يوماً يُشالِقها وتُشالِقُهُ ويُخالِفها وتُخالِفُهُ، ويقال لها: ألسنت تعلمين يا جيافة أنت لقتبت من أجلك بزواج العرافة فلعن الله الأشفار والأظفار وما تحويه الأحصار من حانوت العطار... "14.

إنَّ وضع النص في هذا السياق يفرض على المحلل رصد التقنيات التي حشدها الكاتب لإقناع متلقيه برأيه والتأثير فيه بحمله على استهجان الثقافة الذكورية (المشرقية)، والتقليل من شأنها فتلقّي "المرأة المغربية" "بشمس الخلالة" يختلف عن تلقّي "الشخصيات الأخرى" بنسائهم وإن كانا يقعان في المنطقة النفسية ذاتها (المشرق)، هذا فضلاً عن كيفية تلقّي "المرأة المغربية" لنزوات زوجها "شمس الخلالة" المتناقض تماماً مع تلقّي هذا الأخير أو استنعاره لهذه العلاقة.

تبقى شخصية شمس الخلالة في هذا المقطع التي أخذت تُردد [يا جيافة..]، ما هي إلا رمزاً لمجتمع سلطوي ذكوري، يُعزى أو يعزى في الكتابة المقامية الساخرة، وما فيه من عنف أسري، إنَّ هو ترسيمة

## صورة المرأة المغربية في المشرق من خلال مقامات الوهراني

عارمة لمجتمع يضح بجنسانية مستبدة، وربما كان الوهراني في عالمه المشرقي نداءً لكل معترض، صحاباً أكثر مما ينبغي ونهاباً للمعاني القارة وراء الكلمات فضائحيًا لواقعه كاشفًا بوقاحة لا متناهية عن جغرافية ننتنة (إيروسية) بكل دلالاتها تعم المجتمع إن الفضح بالكلمات هو فن مباغتة ما يجري في واقع فعلي<sup>15</sup>. ولعلنا هنا نتساءل لماذا تحيا "المرأة المغربية" ذلك "العنف الأسري" الذي سطرته السلطة الذكورية،

ولم لا تستطيع المواجهة وتحمل تبعاته؟

تظهر بطللة المقامة (المرأة المغربية) غير قادرة على اتخاذ قرار بالمواجهة بما تريده ويصور السارد (الوهراني) مناطق الطمع البشري، كما يمثلها هذا المقطع: [ وحاول كل معيشة فلم يقدر على حشيشة فساقه القلفندر، والقضاء المقدر إلى عجوز مغربية محكمة في خمسين صبية، تعلم البنات الغزل وتجنهنهم المحون والهزل، فقد اشتهرت بالرفق والأنانة والحذق في تعليم البنات قد أخصب مكانها، وامتلأت بالكسر أركانها. فجاء هذا الشيخ أبو الخرا يطلب عندها بيتاً للكرما وهو كما رأيت قد جمع بين الجفا وغلظ القفا، فأبصرته العجوز على تلك الحالة، فتوسمت فيه عظم الآلة، فسرى خيالها، وسال عليه ريالها، ولم يفارق باجها حتى كتبت عليه كتابها]. ينقل لنا السارد كيف تريد البطللة أن تحتفظ بكل شيء: بيتها وحبيها، الغبي والفاشل، لا تستطيع الصبر عليه وتحمل تبعاته، ولذا تبقى معذبة ومنشطرة طيلة السنوات التي ارتبطت فيها "بشمس الخلافة" (أبو الخرا). ربما تنشأ الحيرة والتردد أيضاً من طبيعة العلاقة المبنية على الطمع، التي تظل تحت وطأة التغير والتبدل، علاقة لا تحمل قدرة الاستمرار إلا تحت ضمان الحب ذاته، الحب الزائل الذي رسمه السارد في النهاية كما يوضحه هذا المقطع: [ قال عيسى بن حماد: ولما ارتفعت الهمة وامتنعت الذمة تغير على زوجته بعد أن كان يفديها بمهجته، وصار يجري بينهما في المجالس، ما يحفظ عنهما في المدارس، ولقد رأيتهما يوماً يُشالِقها وتُشالِقُهُ، ويخالفها وتخالفه، ويقال لها: ألسنت تعلمين يا جيافة أنت لقتت من أحلك بزوج العلالة فلعن الله الأشفار والأظفار وما تحويه الأحصار... ]، على هذا النحو تفهم طبيعة تلك العلاقة التي تبخرت مع الزمن، لتبقى هذه العبارات المقتبسة تحدّد للمعاش وترصد لوقائعه، أو كما يراها بعضهم، " شكل خطابي يشتغل على هتك العنف الممارس، وتمرد على المنفعة والذكورة المشرقية المتسلطة في تجليها السياسي"<sup>16</sup>. ثمة شفرات سردية في نصوصه تنذر بالكارثي، إنّ المنفعي ينحل في الذات المشرقية، في رغبات متأججة تفصل بين جسد وآخر وفي الآن عينه، تلغي حدود القيمة الروحية للمرأة المغربية، التي ظل الكاتب مدافعاً عنها.

إلى جانب ما سلف، مكنت آلية تعدد المواقف في "المقامة" من تنوع تصوير البطلة المغربية فأثرت النص معرفياً، وأثارت حفيظة المتلقي، فالمرأة المغربية التي تُعلم "شمس الخلافة"، تربط بين حياتها الخاصة الحميمية، والقضايا الفكرية، كما يصورها هذا المقطع: " فقال: أعلم أنه لما اجتمعت العجوز المغربية على تعليمه، وردت إلى المدرسة وتسليمه تخوف من ذلك الأمر، وبات ليلته على الجمر. فلما أصبح قال لها: يا هذه اعلمي أنني كنت في بلدي اسكافا، وأصبحت اليوم في مرحاضك كنافاً، فكيف لي بالمدارس وأنا كالطلل الدارس؟ ومن أين لي بالخير وأنا مثل حمار العزيز؟ والله ما أفرق بين الحروف وبين قرون الحروف، فقالت: أنا أعلمك العلم كله إلا أقله وأعلمك فصلاً في التدريس تغلب به محمد بن إدريس\*، فقال لها: يا هذه والله ما أرجو من المدرسة نفعاً، وإني أخاف أن يقتلوني صفعاً فدعيني من اقتحامك وإقحامك، ووفرتي على لطم أرحامك. فقالت: أريد أن أخرجك من المدابر وأضعك على رؤوس المنابر، فأحضر ذهنك، وافتح لهذا الدرس أذناك، اعلم أن الألف قائم كالمغزل، وهو كباب المنزل، والباء كالصنارة، أو كرجل المنارة، والهاء كالثقالة، وفيها شيء كالعرقالة\*\* والطاء كالخف، أو كطارة الدف، وكل مدور ميم، وكل معوج جيم، والصاد تشبه نعالك، والذال تشبه قذالك\*\*\* وإن القاف والكاف تشبهان اللكاف\*\*\*\*، فاحفظ هذا الكلام وقد أصبحت مفتي العراق والشام واحذر مخالفتي واعتزالي، واعلم أن بهذا الفضل تقدمت الغزالي. فأقبل التيس يكرر لفظه حتى أجاد حفظه، وعندنا خرج في القمة والعمدة وعزم على مدرسة جمال الأمة. فخرجت تبخره من العين وتقرأ عليه المعوذتين، وقالت له: إذا جلست فتزيع، ولا تتقنع، وانشر أكمامك، وأظهر للناس أعلامك، فإن الغريب ابن ثويبه والمقيم ابن جديبه. فقال لها: أوصيني رحمك الله. فقالت: له: إذا حضرت فانفخ حضنك وبطنك، وانفخ بين الفقهاء ذقنك، وباكراً المدرسة في الصباح، وسابقهم إلى الرواح، وإن غلبوك في العلم فلا يغلبوك في الصباح. فقال لها: أخاف أن أقتل بالكوالك، ولكن أوصيني. فقالت: خذ اللفظ بأتمالك من شفتيك، وزاحم الفقهاء بمنكبيك، وابصق في وجه الشيخ ولا جناح عليك. قال: فهاتي إذا شيئاً من قماشك ألقي به صفع الشماشك\*. فقالت: أجسر على القوم فما هو إلا بياض اليوم، وأعلم أن الفقه ليس هو شيء غير النفاق والزعاق وتلويث وجه الخصام بالبصاق... "17. يتعرض السارد هنا إلى تفسير وشرح النظرة الدونية التي بقيت في إطار "العنف الجنسي" الاستغلالي على حد تعبير فرويد، كما يدمعه هذا المقطع: [ فدعيني من اقتحامك وإقحامك، ووفرتي على لطم أرحامك]، هذا المقطع يكشف عن السائد في غضون التاريخ المشرقي، ويرصد لنا بعض المشكلات النسوية التي تواجهها المرأة المغربية في مجتمع لا يدرك تماماً ثقافة المرأة



## صورة المرأة المغربية في المشرق من خلال مقامات الوهراني

المغربية وقيمتها، فتعرض "المرأة المغربية" للسلب والنهب وغيرها من معوقات الحياة التي كُبلت بها. ويعتبر هذا التهميش السردى والتصوير الكاريكاتوري المتبع في هذا المقطع من أهم هذه التقنيات التي تدخل الشخصيات إلى حلبة المؤلف والمعتاد كما يقول باحتين<sup>18</sup>.

لغة السرد المقامي هنا عنفوانية، يمكن أن نعتبرها نمطاً سردياً ساحراً للكشف الجريء لأنّ الكاتب يقود شخصياته(العجوز المغربية/ الرجل المشرقي)، وينقاد عبرهما ومعهما وخلفهما، إلى عالم مسكون بعنف خطابي؛ حيث اللغة الخطابية التخريبية(الهادمة) التي جعلها الكاتب على لسان "المرأة" تعصف بالسائد، والملل القاتل، لكون "السائد يبتئ العنف في عروق اللغة الساردة، الساخرة"19 التي ينتجها الكاتب من أجل تعرية الواقع، مما أدى بها إلى الانفعال كي تقرّر في آخر المقطع بأنّ الفقه ليس هو شيء غير النفاق والزعاق وتلوّث وجه الخصام بالبصاق.

في هذه المناطق السردية الكثيفة على حد تعبير "إيكو"، نشعر أننا نعيش واقع الكتابة التّسوية، فنجد أسماء للحروف بتدعها المرأة المغربية، كما يوضحها هذا المقطع: [اعلم أن الألف قائم كالمغزل، وهو كباب المنزل، والباء كالصنارة، أو كرجل المنارة، والهاء كالثقالة وفيها شيء كالعرقالة والطاء كالخف، أو كطارة الدف، وكل مدور ميم، وكل معوج جيم والصاد تشبه نعالك، والذال تشبه قذالك، وإنّ القاف والكاف تشبهان اللكاف، فاحفظ هذا الكلام...]. كما نجد أصداء لقضية تثقيف "الرجل المشرقي" والعمل على إعادة الهية التي سُلبت منه، وصياتتها من الجهل، كما يصوره لنا هذا المقطع: [وقالت له: إذا جلست فتربع ولا تتقنع، وانشر أكمامك، وأظهر للناس أعلامك فإن الغريب ابن ثوبيه والمقيم ابن جديه. فقال لها: أوصيني رحمك الله. فقالت: له: إذا حضرت فانفخ حضنك وبطنك، وانفش بين الفقهاء ذقنك، وباكر المدرسة في الصباح وسابقهم إلى الرواح، وإن غلبوك في العلم فلا يغلبوك في الصباح...]. يمكن القول عن هذه القضايا المطروحة في المقطعين بأنّها من القضايا الجدلية التي تحتمل تناقضات وسياقات مختلفة. يعتمد خطاب الوهراني على نبرة تثويرية لا تخلو من السّخرية، وهذا التثوير يسمح "بأسلبة اللّغة لتصوير عنف الواقع بالسّخرية، فلغات التعدد اللساني، تدخل إلى الخطاب في شكل أسلبات ساخرة<sup>20</sup>. كانت شخصية "شمس الخالفة" دافعاً للحديث عن علاقة السارد بالمرأة المغربية المثقفة، كما كانت دافعاً للحديث عن ثقافة الاستهجان لدى المجتمع المشرقي التي طالت الهوية الجزائرية وتلك الاختلافات التي يصنعها، بما يمكن أن يمنحه من حرية للرجل ويسلبها من المرأة، بل ويضعها في منطقة المحرمات التي قد تصل لأن يستحل قتلها والإجهاز عليها بتهميشها ووصمها بالعار.

يمكن أن نطلق على هذه المقامة اسم "المقامة الاستشراقية"، فهي تخوض في "الآثار التاريخية المطموسة"، نظراً لاتجاه السارد في الكتابة الذي سبق وأن أدرجناه في "السرد الحفري"، وكثير من الكشوف فيها، ولنا أن نلاحظ اختيار الوهران للمجال المهني لشخصية "المرأة المغربية" التي تعمل على تدريس زوجها "شمس الخلافة"، هذه الوظيفة التي تأديها المرأة المغربية، هي الكشف عن كل ما هو تاريخي مخفي، وينتمي للضرورة التاريخية على حد تعبير "فوكو"، وهو ما يزيد من شعور المتلقي بواقعية العمل الإبداعي، ويساعده كذلك على التماس النبض التاريخي الذي يوازي نبض الحياة المشرقية قديماً وحديثاً.

في هذه المقامة يناقش السارد مطموسات "العنف الأنتوي المغيب"، وفي هذا إدانة لأخلاق المجتمع المشرقي الأبوي التي تجعل من حياة الفرد المغربي حياتين، واحدة سطحية معروفة ومحترمة يعيشها كزوج، والأخرى سرية يعيشها في الخفاء كعبيد، بحيث إن هذا الأزواج يشير وينبي بأبعاد السلوكات المتدنية، وهذا ما دفع الوهراني إلى تمثيل عنف الواقع الذي صاغته المقامة في متنها الحكائي.

مقامة شمس الخلافة تبقى من المؤلفات التي لامست الفكر، من خلال نافذة النقد والسرد، كما توصل لتجربة المرأة المغربية في التجارب الإبداعية، كنموذج لامرأة استطاعت بحيلة الحكيم والسرد أن تدفع عنها وعن بنات جنسها القتل والفناء، ولم تكن في هذه التجربة بعيدة عن آفاق العمل الإبداعي الذي يحتمل السرد القصصي ويحتمل السيرة الذاتية.

نصوص عديدة تلك التي استطاعت في العالم العربي أن تفضح استهجان "العالم المشرقي" وتفسخه بنبرة جادة وحاسمة أحياناً، وساخرة ومرة أحياناً أخرى، واضعة القارئ بين سحر الموضوع وجمال الكتابة التي تبحث عن خصوصيتها وتميزها بين ما يكتب في العالم، مؤكدة في الوقت ذاته دور "المتخيل العربي" في متابعة الواقع واحتفاظه بماء الوجه، عندما تصبح الأنظمة العربية (المشرقية) متخاذلة ومتواطئة مع أصحاب السلطة والعناصر الرجعية.

إنَّ قراءة أولية لهذه "المقامة" تفرض على القارئ نوعاً من مشاعر الضيق والكبت وانعدام الحيلة إزاء ما يجري من أحداث تميل إلى صياغة عنف الواقع المشرقي بكافة مفرداته وتفصيلاته لما يعكسه من متناقضات حسية تجري على نسق واحد في التضاد، فمرة نجد أنفسنا نركن إلى العطف إزاء هذا "الكاتب" الخانع والذي لازمته النبرة الانفعالية كرد فعل منذ "الرحلة المشرقية"، وكأثماً ولدت معه وختمت بالبؤس على جبينه، ومرة نجد الإحساس يحدو نحو السخط إزاء سلبه المفرطة تجاه ضغوطات الحياة ومجريات الأمور لدرجة تمنحك الحق في التشفي، إلا أن طبيته كإنسان وهدهوه يجبرك على التأني في الحكم.

## صورة المرأة المغربية في المشرق من خلال مقامات الوهراني

يتحول الوهراني في معظم نصوصه إلى مغربي وفي لعالم هويته، وسيلته الوحيدة للتعبير عن عنفه الداخلي حرصه على أن ينتقم من خصومه في فضاء عبثي سعى لإنشائه في قلب العالم المشرقي الخاص بأعدائه، وأراد أن يجعل من التاريخ خلفية تضيء على عنفه "معنى ثقافيا" وكان يقايس الرموز المغربية والثقافية بلذات يعتقد أنه بما سيثأر لنفسه بها.

-هوامش:

1 - ينظر: باربرا وتمر، الأغمات الثقافية للعنف، تر: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، ع، 337 2007، ص 9-10-14.

2 - ينظر: محمد بجاوي، العنف والعدالة، نصوص فلسفية مختارة ومترجمة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2013، ص 18-19.

3 - مقامات الوهراني، ص 4-8.

4 - من باب التوثيق لبعض المصطلحات التي تدخل في حيز عنف اللغة، مصطلح "صرخة اللغة" الذي أشار إليه: عالم الأصوات الفرنسي "إيفان فوناجي" إعتبر بأن صرخة اللغة في مظهرها الكلامي المنجز عبارة عن تسنين مزدوج، أي أنها نسق تعبيرية يعبر عن نمطين من المعلومات: أولاً، معلومات ذات طبيعة لغوية أولية أو أصلية تجسدها العلامات اللغوية من خلال صلة الاعتباط القائمة بين الدال والمدلول؛ وثانياً، معلومات ذات طبيعة ثانوية أو فرعية ملازمة ومصاحبة للأولى ولا تسليخ عنها، وقد سمي "فوناجي" هذا النوع الثاني من المعلومات: الأساليب الصوتية، وهذه الأخيرة حاضرة بقوة في كل تلفظ صوتي، وتتكفل بالتعبير عن مشاعر المتكلم وإحساساته ومواقفه الانفعالية الواعية واللاواعية وبعبارة أخرى، فالمستوى الأول يشمل مظاهر اللغة المعرفية والثقافية والعلمية، بينما يختص المستوى الثاني بالجوانب النفسية والشعورية. ينظر: مراد موهوب، لغة العنف وعنفة اللغة: مقارنة لسانية نفسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - بني ملال المملكة، ص 5.

موقع: [www.alukah.net](http://www.alukah.net).

5 - التهجير القسري: يؤدي إلى "الانفعال الخطابي والخضوع للضغط النفسي، لأن واقعنا الإنساني أكثر بشاعة ويحتاج الكاتب إلى محكي ليكتب تجربته التي تتناول أحداث العنف الإقصائي والقضاء على الهوية والتهجير والاحتقان العنصري.

ينظر: أحمد الأنباري: العنف هاجس يتجلى في الرواية العربية، ص 3، [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net).

6 - إن الرموز هي مواضع انتقاء تاريخي للأسماء، أو هي تصورات خيالية بين التجربة والواقع، تحتزن التجربة الإنسانية بواسطة صور التجربة أو رموزها: فالرموز هي تشفير، وتسمية، وتصنيف للتجربة (الأفكار، والانفعالات والرغبات

والاستجابات الحاصلة فكرياً) في صور الذاكرة، التي تقوم بوظيفة نماذج سلوك محتمل، حيث نحتفظ بتفسيرنا لتجارنا في تداعيات رمزية. ومن الصعب تفسير سيطرة الرموز الكاسحة علينا ما لم نتعلمها بالتزامن مع التجارب اليومية القوية. يصبح التمثيل الرمزي الذي يحدد التجربة مركزياً في تشكيل تخمينات الواقع أو المعتقدات من خلال الوعي والمحكمة العقلية، وتتعدد المعتقدات والتخمينات بشأن العنف تبعاً للزمان والمكان، والسياق، فالخطط التأملية وأنماط التفكير، التي ينظم الشخص بواسطتها تجربته ويفسرها، تشتمل على المعتقدات والتخمينات، تتكون المعتقدات بوصفها تقييمات للواقع، بواسطة التصوير الرمزي ومبدأ الحكم الانتقائي أو السلطة، وأنظمة الحكم العصبية. ينظر: باربرا وتمر، الأنماط الثقافية للعنف، ص 19.

7 - حاتم الورفلي: بول ريكور... الهوية والسرد، تقديم: أحمد عبد الحليم عطية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 2009، ص 53.

8 - مراد موهوب، لغة العنف وعنفة اللغة: مقارنة لسانية نفسية، ص 4.

9 - رولان بارت: لذة النص، رشيد بن حدو، قراءة في القراءة، مجلة الفكر المعاصر، عدد: 48-49، 1988، ص 19.

10 - مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، 1978، ص 13.

11 - مقامات الوهрани، مقامة في شمس الخلافة، ص 98.

\* - توضيح: العذاب المقيم بنفس كل من "المرأة المغربية" و"الرجل المغربي" نتيجة للازدواج: تمثل له كالتالي: الرجل المشرقي يتخبط في المعاناة(البطالة-الفقر)- يتمتع بجنسية مشرقية./ المرأة المغربية بلغت في العنوسة مرتبة، أمهكها التشرذم- تتمتع بجنسية مغربية.

12 - مقامات الوهрани، م، س،، 98.

13 - باربرا وتمر، الأنماط الثقافية للعنف، ص 16.

14 - مقامات، م، س،، ص 102.

15 - ينظر: إبراهيم محمود، الشبق الحرم، أنطولوجيا النصوص الممنوعة، شركة رياض الريس، بيروت، ط 1 2002، ص 18.

16 - إبراهيم محمود، الشبق الحرم، أنطولوجيا النصوص الممنوعة، ص 22.

## صورة المرأة المغربية في المشرق من خلال مقامات الوهراني

- \* - محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ولد سنة 151هـ، ومات سنة 204هـ، وقدم مصر سنة 198هـ وظل الشافعي في مصر، وكان محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه، وأدبه وحلمه. ينظر: ابن الأثير اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص 5.
- \*\* - العرقالة: تعرقل: تعوج. مقامات الوهراني، الهامش، ص 100.
- \*\*\* - قذال جماع مؤخرة الرأس من الإنسان. ينظر: م، ن، هـ، ن، ص ن.
- \*\*\*\* - اللكاف: لغة في الإكاف، وينسب إليه من يعمل في الإكاف ويبيعه، والإكاف: البرذعة، جمع أكف، م، ن، هـ ن، ص ن.
- \*- الشماشك: زي من ملابس الرعاة ويطلق على اللوالك. مقامات الوهراني، الهامش، ص 101.
- 17 - م، ن، ص 100-101-102.
- 18 - ينظر: ميخائيل باختين: شعرية دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، بغداد- الدار البيضاء، دار توبقال، 1986، ص 232.
- 19 - عبد النبي دشين، شعرية العنف، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص27.
- 20 - محمد الزموري، شعرية السخرية في القصة القصيرة، الوظائف التداولية للخطاب، ط1، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- مكناس، مطبعة أنفو، شارع القادسية، فاس 2007، ص 30.